في الشعر العربي الحديث

تحليل وتذوق

لقد افتقر تراثنا النقدي إلى كتب في النقد التطبيقي ، حتى في عصرنا الحديث نجد النقد التطبيقي منصبا على فن القصة بنوعيها طويلة وقصيرة ، وقلما نجد كتبا في نقد الشعر نقدا تطبيقيا ، وهذا كان الدافع الرئيس لإخراج هذه الدراسة النقدية الماتعة ، وهذا الكتاب يعد الجزء الرابع من سلسة نقدية كبيرة ، بدأت من عصر صدر الإسلام حتى وقتنا الحالي ، سوف نرى في هذه الدراسة عظمة شعرنا العربي ، وكيف أنه بلغ القمة ، ووصل لأعلى الدرجات سموا ورفعة ، ونرى فيها أيضا كيف يكون الناقد مسلما، ومنهجه الإسلامي في النقد ، فهيا بنا نعيش في رحابها .

بدأ الدكتور إبراهيم بقصيدة (التحسر على أيام الشباب) للبارودي ، والتي قسمها إلي ثلاثة أقسام ، الأول: يصف فيه البارودي

الطبيعة وجمالها وروعتها ، ومناظرها البديعة ، ليظهر لنا عبقرية الخيال عند البارودي . الثاني: يسترجع فيه البارودي ذكريات الشباب وأيامه الحلوة ، وكيف أنه كان فتيا قويا في شبابه . الثالث: الوصول إلى سن المشيب ، وتفاجأ البارودي بذلك بعد أن فاق من سكرة شبابه . ثم ذكر أندلسية شوقي التي عارض فيها ابن زيدون، رغم أن لا ترابط بين موضوعي القصيدتين، ثم بين لنا مالها وما عليها، من حسن الصياغة، وبراعة الاستهلال، وعدم ترابط أجزاء القصيدة ، والتنافر بين الصور ؛ ليحكم في النهاية بأن شوقي ظلم نفسه حين أراد معارضة نونية ابن زيدون ، لأن ابن زيدون وصل فيها إلى القمة والكمال ، فماذا بعد القمة إلا السفح . ثم ينتقل بنا الدكتور إبراهيم لنعيش معا أجواء ثورة 19 من خلال قصيدة (مظاهرة النساء) لحافظ إبراهيم ، والتي تعد قصة قصيرة مكتملة الأركان ، يصور فيها حال الفرقتين المتصارعتين ، وسلاح النساء في مواجهة سلاح الإنجليز ، ويبدأ في السخرية من الإنجليز لأنهم يستأسدون على نساء عوازل ، إلا أن السخرية هذه لم تحرك لهم ساكنا .

ثم يأتي لنا بعد ذلك بثلاث قصائد رائعة للعقاد ، ليرد بهم على من يزعم أن العقاد شعره رديء، ويفتقد إلى الروح ، ويغلب عليه الجمود ، فيبدأ بـ (الشاعر الأعمى) ليظهر ما بها من جمال ؛ حيث الفكر الخصب والدقة في اختيار اللفظ المعبر ، وينتقل بنا إلى (عيش العصفور) والتي تعد أبلغ رد على كل المغرضين الذين يتهمون العقاد بالجفاف ؛ إذ إنه يقر بحقيقة في قصيدته ، وأن الحياة ليست بالسهلة ، وعبر عنها بالعصفور الذي يعتقد كل الناس أنه في رغد من العيش ، ولكنه يستدرك ذلك عليهم ، ويصور الشقاء الذي يعيش فيه ، والأعداء الذين يحيطون به من كل جانب. فأين الجفاف في هذا ؟! ويختم بقصيدة (سلع الدكاكين في يوم البطالة) من ديوانه (عابر سبيل) ، والذي يتضمن موضوعات الحياة اليومية ، وكيف أنه صورها، وألبسها ثوبا فلسفيا ، وعلى الرغم من أن هذا الديوان به بعض القصائد الرديئة فإن هذا لا يقدح في شاعرية العقاد .

ثم ينتقل بنا لنعيش في ظل الحب الصوفي ، من خلال قصيدة (الصوفي

المعذب) للشاعر السوداني تيجاني يوسف البشير ، والتي يعبر فيها عن حبه الشديد، وإيمانه بالله ، وذكرياته وخلجات نفسه ، وهو يجمع فيها بين النظرة المادية والرؤية الفلسفية ؛ حيث إن صوفيته لم تقطعه عن الدنيا والواقع . وبعد أن نجب لا بد أن نبكي على الأطلال ، ولذلك انتقل بنا الدكتور لقصيدة (الاطلال) لإبراهيم ناجي ، وهي عبارة عن مقاطع ،كل مقطع يتكون من أربعة أبيات متحدة القافية ، ليصور لنا فيها ذكرياته العذبة ، وألم الفراق والمعاناة التي يعانيها بعد الهجر والقطع ، وكبريائه التي تمنعه من الخضوع والتذلل لمحبوبته ، وإن كان ذلك سيريح قلبه . ثم بعد ذلك نأخذ جولة بين المروج الخضراء على ضفاف النيل ، من خلال قصيدة (الجندول) لعلي محمود طه ، والتي يتهمها الدكتور شوقي ضيف بأنها خالية من المعاني ، وما هي إلا ألفاظ نظمت بأسلوب رائع وموسيقا عذبة ؛ وذلك لأن الشاعر لم يعش تجربة شعورية حقيقية ، ولكن ناقدنا الكبير د. إبراهيم خالفه في رأيه ؛ حيث يرى أن هذه القصيدة عبارة عن قصة متسلسلة ، فهي تغوص بنا في أعماق النفس البشرية ،

والموسيقا فيها من أروع ما يكون ، وبها معانٍ سامية مثل : الحنين إلى الوطن والشعور بالغربة ، وكذلك الألفاظ في غاية التأثير ، وبناؤها متين .

وبعد ذلك جاء بقصيدة (إلي صورة) للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، وهي من أروع القصائد التي تصور مناورة ومغالبة المرأة للرجل ، فتبين في قصيدتها مدى حبها لحبيبها ، وكيف أنها تكتم هذا الحب حتى لا يمل هو منها ، أو يبعد عنها ، فهي تسير بمبدأ إن شد أرخيت ، وإن أرخى شددت ، وتصور هذه المغالبة بين الرجل والمرأة تصويرا رائعا ، وهو ما يعرف بكيد النساء . وننتقل لنشارك شاعرنا بدر شاكر الثياب ألمه ورجاءه من خلال قصيدته (عكاز في الجحيم) ، والتي يثور فيها الشاعر على قدره ، ويبين كيف أنه عاجز ، وأن أمله في الحياة أن ينطلق في كون الله الواسع ، وقد يكون تجرأ على الله في قصيدته ، ولكن الله هو الذي يحاسبه ، لأننا لم نعش ألمه ومعاناته .

وأتى لنا بنموذج من الشعر الجديد ، وهو قصيدة (أحلام الفارس القديم) والتي يرى الدكتور إبراهيم أنها مثل قصيدتي شوقي والبارودي في التحليق والإسفاف ؛ ففي نصفها الأول يحلق حتى كاد أن يلمس النجوم ، ولكنه سرعان ما سقط وكأن جناحه كُسر في نصف القصيدة الثاني ، ثم بين لنا الدكتور إبراهيم موقفه من الشعر الجديد ، ودحض حجة كل من يقول بتفضيل الجديد على القديم ؛ حيث إن القديم أفضل شاعرية ، وأكثر موسيقية ، وأكثر تأثيرا . وبعد ذلك ترى التشاؤم في قصيدة (لايفرح البشر) لعبده بدوي ، والتي يصور فيها بحث الإنسان عن السعادة ، وإجهاد النفس من أجلها ، وفي النهاية إما أن لا يصل إلى ما يريد ، أو يصل ولا يشعر بالسعادة . وفي نهاية هذه الرحلة الشائقة في آفاق النقد التطبيقي للشعر ختم بمقطوعة صغيرة، تحت عنوان (أماه) للشاعر سميح القاسم ، والتي نعيش من خلالها معاناة الشعب الفلسطيني ، وتصور لنا المقابلة بين الوحشية والبراءة المتمثلة في جنود الاحتلال والطفل الرضيع وأمه ، ويربط كل ذلك بالواقع الأليم في الصمت والسكون خلال القصيدة .

حقا إنها رحلة ممتعة شائقة في رحاب النقد التطبيقي للشعر ، تجعل المرء أكثر إنسانية وأكثر نبلا وشرفا .